حياة أعظم الرسل

محمدٌ يدعو إلى عبادةِ اللهِ وَحدَه

مُحمدٌ يدعو إلى عبادةِ اللهِ وَحدَه

كَانَ مِنَ الْحِكْمَةِ التَّدَرُّجُ فِى الدَّعوَةِ إلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ ، وَتَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصنَامِ الَّتِى لاَ تَنفَعُ وَلاَ تَضُرُّ ، ولاَ تَسْمَعُ وَلاَ تُبصِرُ . فَفِى الْبَدْءِ كَانَتِ الدَّعْوَةُ سِرّاً ، ثُمَّ كَانَت بَينَ أَقرَبِ النَّاسِ إلَيهِ ، ثُمَّ صَارَتْ جَهرًا (بِصَوْتٍ مُرتَفِعٍ) إلَى الْعَرَبِ خَاصَّةً ، وَإلَى النَّاسِ جَمِيعًا .

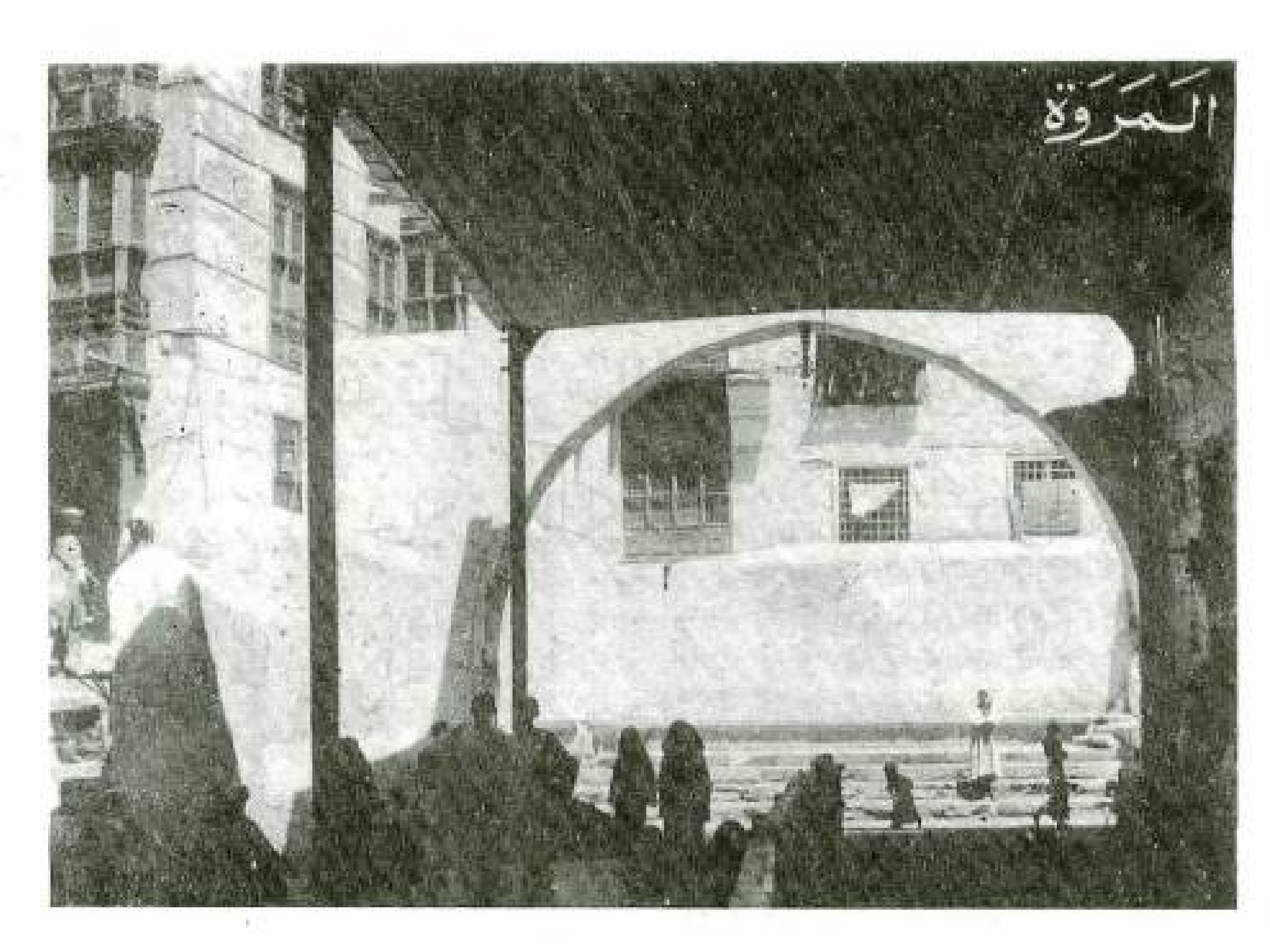
كَانَتِ الدَّعوةُ إِلَى الإِسلامِ سِرًّا فِى الْبَدْءِ ، خَوفاً مِن مُفاجَأَةِ الْعَرَبِ بِتَرْكِ دِينِهِم وَدِينِ آبائِهِم وَأَجدَادِهِم ، فَيَصعُبُ عَلَيهِم تَرْكُ ما اعتَادُوهُ ، وَاعتِنَاقُ الدِّينِ الْحَقِّ ، وَهُوَ الْإِسلامُ . وَلَيسَ مِنَ السَّهْلِ تَـرْكُ العَادَاتِ وَالتَّقَالِيدِ إِلاَّ بَعدَ التَّمهِيدِ لَهَا ، وَالِاقتِنَاعِ بِتَرْكِها . فَكَانَ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فَى الْبَدْءِ لاَ يَدعُو إِلاَّ مَن يَتَأَكَّدُ مِنهُ ، وَيَثِقُ بِهِ . فَالْمُصطَفَى نَفسُهُ كَانَ أَوَّلَ مَن آمَنَ وصَدَّقَ بِمَا جَاءَ مِن عِندِ اللهِ . وَأَوَّلُ مَن آمَنَ بِهِ مِنَ النِّسَاءِ السَّيِّدَةُ

الطَّاهِـرَةُ خَدِيجَـةُ ؛ صَدَّقَتْـهُ فِـى كَـلِّ مَا يَقُـولُ ، وَسَاعَدَتـهُ ، وَعَاوَنَتـهُ . وَخَفَّفَت عَنهُ آلاَمَهُ وأَحزَانَهُ ، فكَانَ إِذَا سَمِـعَ شَيئـاً يَكرَهُـهُ قَـامَت وَأَزَالَت هُمُومَهُ ، وَهَـوَّنَتْ عَلَيـهِ أُمـورَ النَّـاسِ الْمُعَارِضِينَ لَهُ .

وَكَـانَ جِبرِيـلُ قَـد عَلَّمَـهُ الـوُضُوءَ وَالصَّلاَةَ ، فَقَلَّدَت خَدِيجَةُ النَّبِىَّ فِى ذٰلِكَ كُلِّهِ . ثُمَّ جَاءَ ابنُ عَمِّهِ عَلِىُّ بْـنُ أَبِـى طَالِبِ ، فَرَآهُمَا يُصَلِّيَانِ ، فَقَالَ : مَا هٰذَا يَا مُحمدُ ؟ فقَالَ الرَّسُولُ : دِينُ اللهِ الَّذِى

أَرسَلَ بِهِ رُسُلَهُ ، فَأَدعُوكَ إِلَى عِبادَةِ اللهِ وَحدَهُ ، لاَ شَرِيكَ لَهُ . فَأَسلَمَ عَلِيٌّ وَعُمرُهُ اثْنَتَا عَشْرَةَ سَنَةً . وَلَم يَسجُدْ فِي حَيَاتِهِ لِصَنَمٍ قَطُّ . وَلِهٰذَا وَصَفَهُ الْمُسلِمُونَ بِقَولِهِم : كَرَّمَ اللهُ وَجهَهُ ، وَكَانَ أَوَّلَ مَنَ أَسْلَمَ مِنَ الصِّبيانِ .

ثُمَّ أَسلَمَ زَيدُ بنُ حَارِثَةَ عَبدُهُ عَلَيهِ الصَّلاَةُ وَالسَّلاَمُ ، وَقَدِ اشتَرَاهُ ، ثُمَّ جَعلَهُ حُرًّا ، وَاتَّخَذَهُ ابْناً لَهُ . وَأَسلَمَتْ أُمُّ أَيمَنَ الَّتِي قَامَتْ بِحَضَانَتِهِ بَعدَ مَوْتِ أُمِّهِ .



المَــرَوَة

إسلامُ أبى بَكرٍ :

وَأَوَّلُ مَن أَسلَمَ مِنَ الرِّجَالِ الأَحرَارِ : أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ . الَّذِى كَانَ صَدِيقًا لِرَسُولِ اللهِ قَبلَ الرِّسَالَةِ ، ويَعلَمُ مَا اتَّصَفَ بِهِ مِنَ الأَخلاَقِ الكَرِيمَةِ ، وَالصِّدقِ فِى كُلِّ مَا يَقُولُهُ .

وَقَد كَانَ إِسلاَمُ أَبِى بَكرٍ أَنفَعَ مِن إِسلاَمِ مَن سَبَقُوهُ ؛ لِأَنَّهُ كَانَ مُعَظَّماً فِى قُرَيشٍ ، وَرَئِيساً مُكَرَّماً ، غَنِيًّا كَثِيرَ الْمالِ وَالْجَاهِ ، كَرِيمَ الْأَخلاقِ ، سَخِيًّا كَثِيرَ الإِحسَانِ إِلَى الفُقَراءِ والْمَسَاكِينِ .

قَابَلَ أَبُو بَكرٍ رَسُولَ اللهِ ، وَسَأَلَهُ : لَقَد سَمِعْتُ مِن قُريشٍ أَنَّكَ تَـرَكْتَ آلِهتَنَا . فَهَل هـٰذَا حَقٌّ ؟ فَأَجَابَهُ النَّبِيُّ : نَعَم ، إِنِّى رَسُولُ اللهِ وَنَبِيُّهُ ، أَرسَلَنِـى لِأُبَلِّغَ رِسَالَتَهُ ، أَدعُوكَ يَا أَبَا بَكرٍ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ ، فَأَسرَعَ أَبُو بَكرٍ بِالتَّصدِيقِ ، وَقَالَ : (أَفـدِيكَ) بِأَبِـى أَنتَ وَأُمِّى . أَهلُ الصِّدقِ أَنتَ . أَشهَدُ أَن لاَ إِلَـهَ إِلاَّ اللهُ ، وَأَنَّكَ رَسُولُ اللهِ . وَكَانَ أَبُو بَكرٍ بِمَنزِلَـةِ الْوَزِيـرِ لِـرَسُولِ اللهِ ، يَستَشِيرُهُ فِى كُلِّ أُمُورِهِ .

وَكَانَت قُرَيشٌ تُعَادِى كُلَّ مَن يُسْلِمُ وَتُؤْذِيهِ ، وَتَكرَهُ كُلَّ مَن يَتَّصِلُ بِالرَّسُولِ أَو يُكَلِّمُهُ ، أَو يَجلِسُ مَعَهُ . وَلٰكِن حِينَمَا أَسلَمَ أَبُو بَكرٍ الصِّدِّيقُ أَظهَرَ إِسلامَهُ ، وَدَعَا أَصدِقَاءَهُ إِلَى عِبَادَةِ اللهِ وَحدَهُ . وَكَانَ رَجُلاً مَحبُوبًا فِى قَوْمِهِ ، سَهلاً فِى مُعَامَلَتِهِ . وَكَانَ أَعلَمَ قُرَيشٍ بِمَا فيهَا مِن خَيرٍ وَشَرٍّ . وَكَانَ تَاجِرًا أَمِيناً حَكِيماً .

جَعَلَ أَبُو بَكرٍ يَدعُو إِلَى الإِسلامِ مَن وَثِقَ بِهِ مِن قَوْمِهِ ، مِمَّن يَذهَبُ إِلَيهِ وَيَجلِسُ مَعَهُ . وَقَد أَسلَمَ عَلَى يَدَيهِ ثَمَانِيَةٌ

مِن رُؤَسَاءِ قُرَيشٍ وَكِبَارِهَا . فَذَهَبُوا إِلَى رَسُولِ اللهِ وَمَعَهُم أَبُو بَكرٍ ، فَعَرَضَ عَلَيهِم الرَّسُولُ الإِسلاَمَ ، وَقَرَأَ أَمَامَهُم شَيئاً مِنَ الْقُرآنِ الْكَرِيمِ ، وَأَخبَرَهُم بأَنَّ الإِسلاَمَ حَقٌّ فَأَسلَمُوا ، وَصَلَّوْا ، وَهُمْ السَّابِقُونَ فِى الإِسلاَمِ . وَكَانَ كُلٌّ مِنهُم يُمَثِّلُ بَيْتًا مِنَ الْبُيُوتِ الشَّرِيفَةِ فِى قُرَيشٍ ، وَيُمَثِّلُ فِيهَا الإِسلاَمَ ، وَيَدعُو إِلَيهِ ، وَيُدَافِعُ عَنهُ . وَهُمْ النَّوَاةُ الْأُولَى القَوِيَّةُ لِلرَّابِطَةِ الإِسلاَمِيَّةِ . فَلاَعَجَبَ إِذَا اقتَدَى النَّاسُ بِهِم ، فَدَخَلُوا مَعَهُم فِى الإِسلاَمِ .

الدَّعْوَةُ إِلَى الإِسلاَمِ جِهَارًا .

ثُمَّ أَمَرَ اللهُ نَبِيَّهُ أَن يَجهَرَ (يَرْفَعَ صَوْتَهُ) بِمَا جَاءَ بِهِ ، وَيَدعُوَ النَّاسَ إِلَى الإِسلاَمِ جِهَارًا . فَقَالَ تَعَالَى : ﴿ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤمَرُ ، وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ أَىْ أَظهِرْ دِينَكَ ، وَاجْهَرْ بِهِ ، وَارْفَعْ صَوْتَكَ ، وَلا تَهتَمَّ بِالْمُشرِكِينَ . فَأَطَاعَ أَمرَ اللهِ ، وَدَعَا النَّاسَ إِلَى الْحَقِّ ، وَوَاجَهَهُم بِالْأَمرِ جِهَارًا ، لاَ يَدعُو أَحَداً دُونَ آخَرَ . ثُمَّ أَمَرَهُ اللهُ أَن يَبدَأَ بِأَهلِهِ وَأَقَارِبِهِ ، فَقَالَ

تَعَالَى : ﴿ وَأَنذِرْ عَشِرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ(١) . وَاخفِضْ(٢) جَنَاحَكَ لِمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ . فَإِنْ عَصَوْكَ فَقُلْ إِنِّى بَرِىءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ ﴾ . وَلَمَّا نَزَلَتْ هٰذِهِ الْآياتُ قَامَ رَسُولُ اللّٰهِ وَنَادَى الْأَقْرَبَ فَالْأَقْرَبَ مِن قَبَائِلِ قُرَيشٍ ، فَاجتَمَعُوا إِلَيهِ ، وَقَالُوا لَهُ : مَالَكَ ؟ قَالَ : أَرَأَيتَكُم (أَخبِرُونِى) لَوْ أَخبَرْتُكُم أَنَّ خَيلاً مِن سَفحِ (أَسْفَلِ) هٰذَا الْجَبَلِ فَهَل كُنتُم تُصَدِّقُونَنِى ؟ قَالُوا : نَعَم ، كُنَّا نُصَدِّقُكَ ؛ لِأَنَّنَا لَم

---

(١) أَهْلَكَ الأَشَدَّ قَرَابَةً .

(٢) تَوَاضَعْ .

نُجَرِّبْ عَلَيكَ كَذِباً . قَالَ : فَإِنِّى نَذِيرٌ (١) لَكُمْ بَيْنَ يَدَىْ عَذابٍ شَدِيدٍ . فَقَالَ أَبُو لَهَبٍ : تَبًّا (هَلاكًا) لَكَ . هَل جَمَعتَنَا مِن أَجلِ هٰذَا ؟ فَأَنزَلَ اللّٰهُ تَعَالَى : ﴿ تَبَّتْ (٢) يَدَا أَبِى لَهَبٍ وَتَبَّ (٣) . مَا أَغْنَى عَنهُ مَالُهُ (٤) وَمَا كَسَبَ (٥) . سَيَصْلَى (٦) نَاراً ذَاتَ (٧) لَهَبٍ . وَامْرَأَتُهُ (٨) حَمَّالَةَ الْحَطَبِ . فِى جِيدِهَا (١٠) حَبْلٌ مِن مَسَدٍ (١١) ﴾ . وَكَانَ مِن أَشَدِّ أَعداءِ

---

(١) نذيرٌ للكافرينَ بالنارِ . (٢) هَلَكَت وَخسِرَت . (٣) هَلَكَ .

(٤) لم ينفعْهُ ما جمعه من مال . (٥) فشل فى محاربة النبى . (٦) يدخل النار .

(٧) ذات شدة وحَرارة . (٨) تحترقُ أيضاً (٩) كانت واشيةً نمامَةً تُوقِدُ نارَ الفتنةِ والعَداوةِ بَينَهم (١٠) عُنُقِهَا (١١) إظهارُها بِصُورَةٍ مُستَبشَعَةٍ .

رَسُولِ اللّٰهِ عَمُّهُ أَبُو لَهَب ، وامْرَأَتُهُ أُمُّ جَمِيلٍ . ثُمَّ اسْتَمَرَّ صَلَّى اللّٰهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ يَدعُو إِلَى عِبَادَةِ اللّٰهِ تَعَالَى لَيلاً وَنَهاراً ، سِرًّا وَجِهَاراً ، لاَ يَمنَعُهُ مِن ذٰلِكَ مانِعٌ ، وَلاَ يَرُدُّهُ أَحَدٌ ، يَتبَعُ النَّاسَ فِي مُجتَمَعَاتِهِم ، وَفِي الْمَوَاسِمِ وَمَوَاقِفِ الْحَجِّ ، يَدعُو كُلَّ مَن قَابَلَهُ إِلَى الْحَقِّ ، مِن غَيرِ تَفرِقَةٍ بَينَ حُرٍّ وَعَبدٍ ، وَقَوِيٍّ وَضَعِيفٍ ، وَغَنِيٍّ وَفَقِيرٍ ، وَقَرِيبٍ وَبَعِيدٍ . جَمِيعُ الْخَلْقِ فِي ذٰلِكَ عِندَهُ مُتَسَاوُونَ .

مُعَارَضَةُ قُرَيشٍ لِلرَّسُولَ :

عَارَضَتْ قُرَيشٌ رَسُولَ اللهِ كُلَّ الْمُعَارَضَةِ ، وَآذَتْهُ كُلَّ الإِيذاءِ ، فَعَطَفَ عَلَيهِ عَمُّهُ أَبُو طَالِبٍ ، وَوَقَفَ بِجَانِبِهِ ، وَدَافَعَ عَنهُ . وَلَم يَشُذَّ عَن أُسرَتِهِ (عَائِلَتِهِ) إِلاَّ عَمُّهُ أَبُو لَهَبٍ وَكَانَ أَكبَرَ عَدُوٍّ لَهُ . وَسَارَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيهِ وَسَلَّمَ فِي أَدَاءِ رِسالَتِهِ الَّتِي أَمَرَهُ اللهُ بِهَا ، وَلَم يُبَالِ بِأَيِّ مُعَارَضَةٍ أُوْ إِيذَاءٍ . وَاستَمَرَّ يَدعُو إِلَى الْإِسلاَمِ بِعَقِيدَةٍ رَاسِخَةٍ ، وَإِيمَانٍ قَوِيٍّ ، لَم يَرُدَّهُ عَنِ الدَّعوَةِ أَيُّ

قُوَّةٍ فَى الْعَالَمِ . وَقَد أُوذِىَ مِرارًا بِكُلِّ أَنـوَاعِ الْإِيـذَاءِ ، وَلٰكِنَّـهُ صَبَرَ صَبـرًا جَمِيلاً ، حَتَّى نَصَرَهُ اللّٰهُ عَلَـى أَعدَائِـهِ وَمُعَارِضِيهِ . وصَدَقَ مِن قَـالَ : ﴿ إِنْ تَـنصُرُوا اللّٰهَ يَنصُرْكُـم وَيُثَبِّتْ أَقدَامَكُم ﴾ . فَالحَمدُ لِلّٰهِ الَّـذِى صَدَقَ وَعدَهُ ، وَنَصَرَ عَبدَهُ ، وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى مَن لاَ نَبِىَّ بَعدَهُ .

❁ ❁❁ ❁